ثانيا: مقاربات تعريفية:

إن مسألة إحكام التحول من «فكر القوة» إلى «قوة الفكر» ليست مسألة مقابلة لفظية ، وإنما هى إشكالية حضارية منطقية فعلية، تختص بالانتقال النشط من وضعية سلبية تتعاظم – حاليا – درجة تحكمها فى مسارات عديدة فى الشئون الدولية والإقليمية والمحلية إلى وضعية أخرى غائبة – إلى حد كبير ، وهى أن يكون للفكر الإنسانى وللمعارف العلمية المنضبطة إنسانيا حدٌ أدنى من النفوذ المناسب فى تسيير الأمور على سطح كوكب الأرض وفى شتى أرجائه . إنها مقابلة تولد فى إطار تحليل منظومى . وفى تقديرنا ، إذا كانت هناك حالة احتياج أساسى شديد لإدراك أهمية إحكام التحول من «فكرة القوة» إلى «قوة الفكر» على المستوى الدولى ؛ خاصة فيما يتعلق بتوازنات العولمة (أو التوازنات العالمية) ، فإن هذه الحاجة تبزغ بدرجة أكثر أساسية ، وأكثر شدة ، وأيضا أكثر إلحاحًا، بالنسبة للأوضاع العربية . إنها حاجة تتصل إيجابيا وبشكل مباشر بإمكانية تمكين الذات الوطنية فى المنطقة العربية من إدارة الخروج من قفص (أو شرك) التحديات الساقطة عليها من البيئة المحيطة بها . وقبل التطرق إلى بعض التفاصيل المتعلقة بالتحول المشار إليه ، توجد حاجة إلى الاقتراب من طرح تعريفى بخصوص المقصود من كل من «فكرة القوة» و«قوة الفكر» .

إن المقصود بالقوة ذلك العزم momentum الناتج عن النفوذ بأشكاله المختلفة (مادية وغير مادية) ، وبما يلحق به (أى النفوذ) من أدوات إجرائية وقدرات وانعكاسات . هذا .. وتتباين أوجه القوة وأشكال النفوذ بين المال والسلطة والسلاح والتكنولوچيا والمعلوماتية ... إلخ .

وأما المقصود بالفكر ، فهو الرؤى الناتجة عن إعمال الحس المعرفى ، والذى هو (أي الحس المعرفى) أداة لتعرف الأشياء والحكم عليها (فى أوضاعها وتباياتها وأصولها وتطوراتها وتشابكاتها) ، وهو أيضا أداة للأستشراف المستقبلى ، ولتحديد الأهداف ومتابعاتها وتقويمها ، وللتخطيط والتصرف إستراتيچيا وتكتيكيا.

وإذا كان الحس المعرفى – كحس – هو أداة فإنه (أي الحس المعرفى) يتكون (أو يولد ويتشكل) كمحصلة لتراكمات ومنتجات وتفاعلات وخصائص ، تأتى من (وتتعلق بـ) التراث ، والثقافة ، والانتماء ، والولاء ، والطموح ، والعلم ، والخبرة ، والقدرات الذهنية ، والعقل الجمعى ، ومدى موضوعية الجهود والمعاناة المبذولة فى مواجهة التحديات وفى إحراز التقدم .... إلخ .

وهكذا بالارتكاز على التناولات الثلاث السابقة بخصوص «القوة» و«الفكر» و«الحس المعرفى» ، فإنه يمكن النظر إلى كل من «فكر القوة» و«قوة الفكر» فى الإطار التالى :

أ – أن «فكر القوة» يعنى الرؤى والأحكام الصادرة عن إعمال الحس المعرفى المتولد أساساً ، وبشكل مباشر عن الأمتلاك لـ [أو الاقتراب من أو الانتفاع أو الاستمتاع بـ] شكل أو أكثر من أشكال النفوذ . هنا نلحظ أن الفكر المعرفى المؤسس لفكرة القوة محدود فى تولده – إلى حد كبير – بأشكال النفوذ . إن أهمية هذه الملحوظة تظهر لاحقاً ، عند تناول قوة الفكر .

ب– أن «قوة الفكر» تعنى الانعكاسات المادية الحادثة (أو التى يمكن أن تحدث) من جراء (أو من خلال) الانتفاع العملى بالرؤى والأحكام الناتجة عن إعمال الحس المعرفى المتولد من عموم كافة المؤثرات والعوامل ، التى يمكن أن تؤثر فيه (وليس المحدود فى تولده فقط – أو أساساً – بأشكال النفوذ).

مما سبق يمكن إدراك أن التحول إلى «قوة الفكر» يعنى التحول إلى حالة يكون فيها النفوذ معبراً عن (ومتوزايًا مع) رؤى ، تشكلت من خلال حس معرفى تكوّن كنتيجة (أو كمحصلة) لكافة التراكمات والمنتجات والتفاعلات والخصائص والخبرات، التى يمكن أن تؤثر فيه كما يدركها ويتفاعل معها العقل الإنسانى (الطامح إلى المعرفة) عند البشر فى عمومهم وعلى اختلاف تنوعاتهم ، وبالتالى فهو نفوذ يقوم على (ويصب فى) صالح مسار الإنسانية فى تراكمه النسبى اللانهائى ، سواء ما تحقق بالفعل من هذا التراكم (فى التاريخ) ، أو ما يمكن أن يضاف إليه (فى المستقبل) .

ربما يمكن هنا التطرق إلى نقطة ذهنية مهمة إلى حد كبير ، وهى أن النفوذ الناتج (أو المعبر) عن قوة الفكر يتشكل من مكونات مادية ولا مادية فى الوقت ذاته ، وبالتالى فإن الانعكاسات الناتجة عن هذا النفوذ تتشكل من مكونات مادية ولا مادية ، ذلك بمعنى أن الفكر الناتج عن «قوة الفكر» (أى فكر قوة الفكر) هو فكر يولد من رحم عزم الاتساق والتكامل بين كافة أشكال النفوذ والخبرات الإنسانية ، بما تتضمنه من ماديات ومعنويات على السواء ، أو قل هو فكر ينتج عن التفاعل الانصهارى (أو التوحد) الإيجابى لأشكال النفوذ والخبرات الإنسانية .

وإذا كنا نهدف بشكل رئيسى فى العرض الحالى إلى إبراز الأهمية المصيرية للتحول من «فكر القوة» إلى «قوة الفكر»[1] فى المنطقة العربية (وبالنسبة للأنسان العربى) ، فإنه يجدر بنا التركيز على التعرض المقارن لكل من «التداعيات» الناتجة عن **فكر القوة** ، و«الآفاق» الممكنة **لقوة الفكر** .

(١) يمكن الرجوع إلى مقال «صناعة العشوائية» – مجلة سطور – أكتوبر ٢٠٠٢ .